Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (2) August(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

واقعية صورة الخيل في الشعر الجاهلي

سلوى خليل علي

قسم اللغة العربية/كلية التربية للبنات/ جامعة الأنبار

The Realism of the Horse's Image in Pre-Islamic Poetry

Salwa Khalil Ali
Department of Arabic Language, College of Education for Women,University of Anbar
Salwa.kh.sa@uoanbar.edu.iq

الخلاصة

الخيل كانت وما زالت رمزًا للقوة والعزة والجمال، وقد احتلت مكانة عظيمة في قلوب العرب منذ القدم، خاصة في العصر الجاهلي. فقد كان العرب ينظرون إلى الخيل نظرة تقدير وإجلال، حيث كانت تشكل جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية وثقافتهم. ظهرت الخيل في أشعارهم ومآثرهم، واعتبروها شريكة في المعارك والصيد والأسفار، فضلاً عن كونها رمزًا للفروسية والشجاعة. ومن خلال اهتمامهم الكبير بتربيتها ورعايتها، تركوا إرثًا غنيًا يعكس عشقهم العميق للخيل ودورها المحوري في بناء حياتهم الاجتماعية والثقافية.و الخيل في الشعر الجاهلي كانت أكثر من مجرد وسيلة للنقل أو أداة للحرب؛ بل كانت رمزًا للفخر والقوة والشجاعة، واحتلت مكانة مميزة في قلوب الشعراء العرب. تغنوا بها في قصائدهم، ووصفوا سرعتها وجمالها وشموخها، حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من ملامح الفروسية العربية. الخيل في الشعر الجاهلي كانت تعكس روح الصحراء وصلابتها، كما مثّلت العلاقة الوثيقة بين الفارس وفرسه، والتي كانت تتسم بالوفاء والتضحية. من خلال الشعر الجاهلي، نستطيع أن نستشف الأهمية البالغة التي أولتها القبائل العربية للخيل، باعتبارها رمزًا للعزة والمجد.الكلمات المفتاحية: الخيل ،القوة ،الفروسية، الشجاعة، الحرب

Abstract:

The horse was and remains a symbol of strength, pride, and beauty, occupying a great status in the hearts of Arabs since ancient times, especially during the pre-Islamic era. Arabs regarded the horse with esteem and reverence, as it formed an inseparable part of their daily lives and culture. Horses appeared in their poetry and heroic tales, and they considered them partners in battles, hunting, and travels, in addition to being symbols of chivalry and courage. Through their deep interest in breeding and caring for them, they left behind a rich legacy reflecting their profound love for horses and their pivotal role in shaping their social and cultural lives. In pre-Islamic poetry, the horse was more than just a means of transportation or a tool of war; rather, it was a symbol of pride, strength, and courage, holding a distinguished place in the hearts of Arab poets. They celebrated horses in their poems, describing their speed, beauty, and majesty, until the horse became an inseparable feature of Arab chivalry. In pre-Islamic poetry, the horse reflected the spirit of the desert and its resilience, as well as the profound bond between the knight and his steed—a relationship marked by loyalty and sacrifice. Through pre-Islamic poetry, we can discern the immense importance Arab tribes placed on horses as symbols of dignity and glory.**Keywords:** Horse, strength, chivalry, courage, war.

المقدمة

الخيل في الشعر الجاهلي كانت أكثر من مجرد وسيلة للنقل أو أداة للحرب؛ بل كانت رمزًا للفخر والقوة والشجاعة، واحتلت مكانة مميزة في قلوب الشعراء العرب. تغنوا بها في قصائدهم، ووصفوا سرعتها وجمالها وشموخها، حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من ملامح الفروسية العربية. الخيل في الشعر الجاهلي كانت تعكس روح الصحراء وصلابتها، كما مثّلت العلاقة الوثيقة بين الفارس وفرسه، والتي كانت تتسم بالوفاء والتضحية. من خلال الشعر الجاهلي، نستطيع أن نستشف الأهمية البالغة التي أولتها القبائل العربية للخيل، باعتبارها رمزًا للعزة والمجد.إن موضوع أنساب

الأخيال والتحدث فيه ليس بالشيء الهين عند العرب لأنهم كانوا يسمعون جاهدين للحفاظ على هذه الخيول الأصيلة وما يؤكد هذا ما وجدته عند "حمود خلفات أبنائهم وينسبون رجالهم ، فعرفوا نسب كل فرس وآبائه، ولم يقفوا في ذلك عند الآباء فحسب بل حرصوا على حفظ نسب الخيل من الأمهات لأنها تحمل الصفات الأصيلة النقية، وقد عنيت كتب الخيل بأسماء الخيل وأنسابها وحرص فريق من المؤلفين على أن يكون نسب الخيل هو مدار تأليف الكتاب ، وصار عنوان مؤلفهم "أسماء" خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ولذلك شهرت كثيرا من الخيل بنسبتها إلى الجد الأكبر" ولأن العرب اهتمت بالخيل أيما اهتمام يقول الأسود الغندجاني في هذا : "بل إنهم على استعداد لدفع أغلى الأثمان لاقتناء الفرس العتيق ، ذكر ابن الكلبي من ذلك قوله" ومنها الصغا فرس مجاشع آلاف درهم".وكان من تقاليد العربي ألا يبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك، بل إنهم كانوا على استعداد لدفع اغلي الأثمان في سبيل اقتناء الفرس العتيق، وبلغ من تعظيم الخيل إن إشراف العرب لم يتوانوا عن خدمة خيولهم بأنفسهم، بل كانوا يفتخرون بذلك، كما عد ذلك من المآثر التي يعتزون بها، كما كانوا يسقونها الماء الدافئ في الشتاء ويصنعون لها النعال لتقي حوافرها من الصخور والأرض الصلبة.

المبحث الأول : تعريف الخيل واهميتها عند العرب

الخيل هي إحدى أقدم وأهم الحيوانات التي ارتبطت بحياة الإنسان منذ العصور القديمة، وقد تميزت بجمالها وقوتها وسرعتها، مما جعلها شريكًا أساسيًا في حياة البشر، خاصة في البيئات الصحراوية القاسية. عند العرب، كانت الخيل رمزًا للفخر والعزة والقوة، واحتلت مكانة مميزة في ثقافتهم وحياتهم اليومية.لم تكن الخيل مجرد وسيلة نقل أو أداة حرب، بل كانت جزءًا من الهوية العربية، حيث اعتنى العرب بتربيتها ورعاية أنسابها النقية، وتغنوا بجمالها وصفاتها في أشعارهم. أصبحت الخيل رمزًا للفروسية والشجاعة، ومصدرًا للفخر بين القبائل، حيث تنافسوا في امتلاك أفضلها وأجملها. ومن خلال ارتباطهم الوثيق بالخيل، ترك العرب إرثًا ثقافيًا غنيًا يعكس مكانتها المحورية في حياتهم.

أولا : تعريف الخيل :الخيل قيل : جمع مفرده خائل كطير وطائر وقيل اسم لا واحد له من لفظه كقوم ورهط ويجمع على:أخيال وخيول بضم الخاء وسميت خيلا لأنها موسوعة بالعز فمن زكيها اعتز واختال على أعداء الله والفرس واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى فيه سواء وأصله التأنيث والأنثى منه فريسة ولا يقال فرسة[١].واللفظ مشتق من الأفراس لأنها تفترس الأرض لقوة مشيها ، وسميت فرسا لأنه يفترس بها المسافات افتراس الأسد.وتسمى عرابا:لا أنها جيء بها من بعد آدم لإسماعيل بن براهيم عليهم السلام جميعا، جزاء له عن الرفع لقواعد البيت واسماعيل عربي[٢]. وسميتا الخيل لاختيالها في المشي نقلا عن الأصمعي قال: "جاء معتوه إلى أبي عمرو ابن العلاء فقال : يا أبا عمرو ، لم سميت الخيل خيلا ؟ فقال لا أدري فقال علمنا ، قال لاختيالها في المشي فقال أبو عمرو لأصحابه بعد ما ولى:اكتبوا الحكمة وارووها ولو عن معتوه" الخيل الفرسان وخيالة أصحاب الخيول، والخال والخيلاء الكبر تقول منه اختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة أي ذو كبروخال الرجل فهو خائل أي مختال قال الشاعر:

فإن كُنتَ سيدنا سدتنا وإن كنت للخال فاذهب فخل

وجمع الخَائِلِ خَالَة وكذلك رجُل أَخَائل أي مُختَالٍ[٣]

وعروبة الخيل واصالتها وقدمها توكد المصادر العربية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأن أول من ركب الخيل سيدنا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، ولذلك سميت بالعرب وكانت وحشية كسائر الوحوش لا تطاق حتى سخرت له، وقيل في أول خلقها: أول ما خلق الله من الخيل خلق فرسا كميتا، وقال له خلقتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم، تقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك[٤].وسميت عرابا لأنه عربية، وفي حديث سطيح تقود خيلا عرابا أي عربية منسوبة إلى العرب ،وقد فرقوا بين الناس والخيل، فقالوا في الناس:عرب وأعراب وفي الخيل عراب والإبل والخيل العراب خلاف البخات ويقال أعرب الرجل إذا ملك خيلا أو إبلا عراباف هو معرب قال النابغة الجعدي في ذلك:

ويصهل في مثل جوف الطوى صهيلا يبين للمعرب

أي إذا سمع صهيله من له خيل عراب ، عرف أنه عربي، والتعريب أن يتخذه فرسا عربيا ورجل معرب معه فرس عربي وفرس معرب خلصت عربيته.

ثانيا : اهميه الخيل في حياه العرب قديما

كان الحصان على مر التاريخ رفيق العربي في حله وترحاله، وحربه وصيده، فعليه يحارب أعدائه وبه يهاجم فهو عدته في الحرب والقتال.وبالعودة إلى التراث العربي القديم، نراه يحفل بالحديث عن حصان النبي سليمان عليه السلام، فقد كان حصان طرد وقنص، لا حصان حرب، ففي رواية ابن الكلبي "أن قوما من الأزد من أهل عمان قدموا على سليمان بن داود عليه السلام بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ، فسألوه عما يحتاجون إليه

من أمر دينهم ودنياهم حتى قضوا من ذلك ما أرادوا وهموا بالانصراف ، فقالوا يا نبي الله إن بلادنا شاسعة وقد أنقصنا الزاد، مر لنا بزاد يبلغنا إلى بلادنا، فدفع إليهم سليمان فرسا من خيله من خيل داود، وقال هذا زادكم، فان نزلتم فاحملوا عليه رجلا، وأعطوه مطردا وأوروا ناركم، فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم، حتى يأتيكم بالصيد، فجعل القوم لا ينزلون منزلا إلا حملوا على فرسهم رجلا بيده مطردا واحتطبوا وأوروا نارهم فلا يلبث أن يأتيهم بصيد من الظباء والحمر فيكون معهم منه ما يكفيهم ويشبعهم ويفضل إلى المنزل الأخر، فقال الازديون: ما الفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب)، فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل[٥].وكان العرب "لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج"[٦] ومن عادات التهنئة أن يقول أحدهم ليهنئك ما تطلب عليه الثأر".[٧]وقد تداخلت أسماء الخيول العربية مع أسماء فرسانها حتى أصبح من العسير تمييز اسم الفرس من الفارس، حيث يقال فارس الأبجر ، وفارس الجون، وفارس النعامة فيلقب الفارس بلقب فرسه تعظيما وتكريما.والطفيل الغنوي الذي أطلق عليه طفيل الخيل" وأبو دؤاد الأيادي والنابغة الجعدي وقد قيل في ذلك "ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد طفيل، وأبو دؤاد والجعدي، فأما أبو دؤاد فانه كان على خيل المنذر بن النعمان، أما طفيل فانه كان يركبها وهو أعزل إلى أنكبر وأما الجعدي فانه سمع ذكرها من أشعار الشعراء فأخذ عنهم[٨].كما اشتهر بعض فرسان العرب بحبهم للخيل واعتنائهم بها فنسبوا إليها ومنهم "زيد الخيل" وأهمية وجود الفرس في حياة العربي تكمن في ركوبه وقت الحرب ومساعدة الفارس على النزال، وقد حدد ربيعة بن مقروم هذه المهمة حيث قال[٩] :

وَلَقَدْ شهدت الخيل يوم طرادها بسليل أوطقة القوائم هيكل

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل

ولأجل ذلك لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها، ولا تكرمه صيانتها للخيل وإكراما لها، حتى كان الرجل منهم يبيت طاويا ويشبع فرسه،ويؤثره على نفسه وولده ويدل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه[١٠]:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا

إذا ما الخيل ضيعها أناس ربطناها فأشركت العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

ولا نبالغ إن قلنا أن العربي كان أعلم من غيره بالأمور المتعلقة بالخيل وهذا ما عبر عنه الجاحظ بقوله : "إنا نفهم عن الفرس كثيرا من إرادته وحوائجه وقصوده كما نفهم إرادة الصبي في مهده ونعلم – ما هو من جليل العلم – إن بكاءه يدل على خلاف ما يدل عليه ضحكه، وحمحمة الفرس عند رؤية المخلاة على خلاف ما يدل عليه عند رؤية الحجر"[١١]كما وضع العربي خرزة من قرون الأيائل في عنقها وذلك لضمان سلامة الفرس من الحسد والعين واستمرت هذه العادة حتى ظهر الإسلام، فنهى عن تقليد الخيل بالأوتار، وذلك كما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم – "لا يبقين في رقبة بعير من وتر ولا قلادة إلا قطعت"، قال مالك أرى من ذلك من أجل العين[١٢] .من هنا يمكن القول إن الخيل لم تكن مجرد حيوان بل كانت كما يقول الباحث نصر الدين صالح: "نمطا ثقافيا عبرت عنه الثقافة العربية بوسائلها التعبيرية كافة نشرا وشعرا [١٣]".وقد نشأت بين العربي وحصانه علاقة تاريخية مصيرية ، فكان صديقين وفيين يتقاسمان الحياة ويتعرضان لنفس المخاطر ويتذوقان نشوة المعارك. ولم تقتصر نظرة العربي إلى الخيل في السابق والصيد فحسب بل تعدى ذلك إلى النظرة الجمالية وهي نظرة قديمة تقترن فيها صورة الخيل بصورة المرأة، ولعل الصفات التي استدل بها العرب على عنق الخيل تشير إلى تلك النظرة الجمالية فضلا عن أن معظم أفراس العرب كانت مؤنثة، وفي المعجم العربي ما يؤكد على مدى العلاقة الوطيدة بين المرأة والخيل. فمن ذلك لفظة "حصان" وهي المرأة العفيفة عن الريبة. وأطلقوا لفظ التكميل على مشي الحصان والمرأة اختيالا، كما أطلقوا على بعض أفراسهم أسماء تتعلق بالنساء والأنوثة. ومن ذلك "الخيفق"، والخيفق الخيل السريع وأكثر ما توصف به الإناث والخيفق من النساء : دقيقة العظام، بعيدة الخطو[١٤].وقد كثر في أشعارهم تشبيه الخيل بالمرأة كما هو الحال عند امرؤ القيس حين شبه ذنب الفرس وطوله بذيل فستان العروس واستخدمت دماء الخيل في طقوس جنائزية وذلك بعقره على قبر الميت، ومما يدل على ذلك قول زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب:

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

على أن العقر بقي إلى العصر الأموي، فقد عقر الفرزدق فرسه على قبر صديقه بشر بن مروان والى العراق لأخيه عبد الملك[١٥].

ثالثا: الخيل في الإسلام :

أولا : الخيل في القران الكريم لم يكرم دين من الأديان السماوية الخيل إكرام الإسلام لها حيث فضل الله الخيل على سائر الأنعام، فقد ذكر الله تعالى الخيل في القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة تنويها بها، ولفتا إليها ورفعا لقدرها على غيرها من الحيوانات الأخرى باعتبارها نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على عباده، وأمر الله سبحانه وتعالى بالاهتمام بالخيل واقتنائها للاستفادة منها في جوانب عديدة وجعلها عزا وقوة ونصرا للمجاهدين في سبيله، قال تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ".)[١٦]يقول القرطبي في تفسيره " إن من حقوق الخيل وبالبغال والحمير هو حسن ملكها وتعهد شبعها والإحسان إليها ، وركوبها غير مشقوق عليها كما فيها الجمال والتزين الذي هو متاع الدنيا المباح، كما أن فيها الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش[١٧]". فالخيل زينة وجمال ومتاع من أمتعة الحياة الدنيا التي درج الناس على حبها والتعلق بها.وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) باتخاذها وارتباطها واعتبرها من مصادر القوة ومن أهم أدوات الحرب التي يجب أن نعدها لمجابهة الأعداء والأخطار الخارجية التي تحيط بالأمة الإسلامية وتربط في سبيل الله لتخويف الأعداء بها وقذف الرعب في قلوبهم، يقول الله تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[١٨]فسعى الله سبحانه عباده المخلصين من الأنبياء والصالحين إلى اقتنائها والحفاظ عليها لما فيها من العز والقوة، فكانت مراكب المدافعين والحماة والمجاهدين في سبيله من أجل إعلاء كلمته ونشر دينه الحنيف في أصقاع المعمورة.يقول سيد قطب:"النص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص رباط الخيل: لأنه الأداة التي كانت بارزة من كان يخاطبه القرآن أول مرة... "[١٩].قال الله تعالى:(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[٢٠]. في هذه الآية الكريمة، ذكر الله أن الخيل من ملاذ ومتاع الدنيا، التي تستحث الإنسان إلى السعي إليها والتمكن منها، فإذا وقعت في يده سعد بها وأشركها معه في حياته وبذل لها العناية والرعاية، فقد كان من الناس من يؤثر جواده على نفسه، ليوفر الجواده الطعام والشراب، فحب العربي للخيل غريزة تمليها طبيعة الحياة وما جبلوا عليه من الفروسية، يقول ابن كثير في تفسيره : " حب الخيل يكون على ثلاثة أقسام ، تارة يكون ربطها أصحابه معدة في سبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء – يثابون – وتارة تربط فخرا ونواءا لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزرا، وتارة للتعفف اقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر"[٢١]وقال تعالى:(وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)[٢٢]يقول ابن كثير:" يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا أجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النظير. هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نول أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأفاء على رسوله، ولهذا تصرف فيهم كما يشاء فرده على المسلمين"[٢٣].وللخيل تكريم وتخصيص فهي الصافنات الجياد التي كانت تحرص على سليمان عليه السلام، وقد ورد لفظة الجياد في القرآن الكريم مرة واحدة،قال الله تعالى:(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[٢٤]يقول القرطبي :" والصافون صفة تدل على أن الفرس يجمع بين يديه ويثني نسبه إحدى رجليه، وذلك ليقوم وينهض ، وتبك الصفة من فضائل الفرس، أما الجواد فهو شديد الجري ، شديد الحفر ، سريع العدو، وتقصد الآيات الكريمات وصف الخيل بالفضيلة والكمال سواء في حالة وقوفها أو في حالة حركتها ، فهي إذا وقف كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعا في جريها ، فإذا طلبت لحققت ، وإذا طلبت لم تلحق"[٢٥].وقد اعز الإسلام الخيل، فأقسم الله عز وجل بها تكرما لها وإعلاء لشأنها وهي تضبح بأصواتها اللاهثة فتوري الشرر بحوافرها القادحة، فتثير النقع وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة، إنها خيل المجاهدين المسرعات في الكر حيث يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضبح، يقول عز وجل:(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا)[٢٦]يقول سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن:"ويقسم الله سبحانه وتعالى بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حيث تجري قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار،غبار المعركة على غير انتظار وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب، إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة ... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاتة سبحانه إليها "[٢٧].

المبحث الثاني : خصائص الصورة الفنية لصورة الخيل في الشعر الجاهلي

الخصائص الفنية لصورة الخيل:عاش العربي في الجاهلية حياة مليئة بالمصاعب والتنافس والعناء والقلق، فيصحو على قرع طبول الحرب وينام وقلبه مليء بالضغينة، ونفسه مثخنة بالجراح متطلعة الى الثأر، لا تهدأ ولا تستقر، فكأن الثأر قانونهم المقدس، وشرعتهم المنزهة، ويحرمون على أنفسهم الخمر والملذات والنساء والطيب حتى يثاروا من غرمائهم.ومن اهتمامات العربي في الجاهلية بفرسه اهتمامه بنسبه، الأمر الذي يجعل من الخيل شيئا ثمينا متفردا نفيا من الاختلاط، صافيا من التمازج والتداخل أصيلا بعيدا التهجين ورداء العرق، وكانوا جد حريصين على معرفة أنساب خيولهم، وذكر أسمائها، بل اهتموا كذلك باسم الفارس كما صنع ابن الأعرابي حين بين لنا في كتابه (أسماء خيل العرب وفرسانها) ومن ذلك على سبيل المثال خيل باهلة الفارس ربيعة بن مداج والفرس هداج. قال فيه الشاعر[٢٨]

شقيق وجري هراقا دِمَاؤُنَا وفارس هداج أشاب النَوَاصِي

كما ذكر كذلك (فرس سعد بن زيد الاشهلي اسمه لاحق وفرس أبي جهل بن هشام يقال له مجاج، ومالك بن نويرة أفراسه ذو الخمار ونصاب والوريعة والعناب والجون)واحتل شعر الخيل قسما كبيرا في الشعر – وخاصة الجاهلي – فقد كان الشاعر والخيل صديقين وفيين، يتقاسمان صعاب الحياة، ولم يترك الشعراء جزءا من أجزاء جسم الفرس إلا ووصفوه، فقد وصفوا أنسابه وألقابه ، وألوانه وسرعته وشجاعته ووفائه وجماله وخلقه وصهيله ورحلاتهم معه إلى الصيد. ويقول الجاحظ عن وصف الشعراء العرب القدامي للفرس " يصفونه بالجودة والكرم والوسامة والعتق والروعة فيقولون فرس جود، وفرس كريم وفرس وسيم وفرس عتيق وفرس رائع[٢٩] و تنقسم الصورة حسب قالبها الفني الذي صيغت فيه بحسب اعتماد الشاعر على الواقع أو الخيال إلى قسمين وهذان هما أساس كل صورة فهي إما حقيقية وصفيةيعتمد الشاعر فيها على دلالات الألفاظ المباشرة دون الحاجة إلى الخيال ومقايستها به. وإما الخيالية فيعتمد فيها الشاعر على ضروب البيان المعروفة – بعلم البيان. من تشبيه وكناية ومجاز[٣٠].والنمط البياني هو أشهر نوع من الصور وأقدمها، استخدمه الشعراء في قصائدهم قديماً وحديثاً، واعتمدوا عليه في التعبير عن انفعالاتهم وكأنهم وجدوا فيه قدرة على نقلها إلى المتلقي تفوق القدرة التي تحملها الألفاظ المباشرة، ذلك أنه يصدر عن خيال المبدع، فيستوجب أحاسيسه ويثير خيال المتلقي لينشئ فيه انفعالات وأحاسيس مشابهة للتي كانت عند المبدع، فالمبدع يجد لذة في استثارة خياله وإطلاقه ليدرك دلالات الصورة والأحاسيس التي تحملها[٣١].وقد اهتم أسلافنا بالصورة البيانية منذ القدم، وتتبعوها في قصائد الشعراء وأقبل عليها بعض العلماء فدرسوها وصنعوا لها علماً كاملاً هو علم البيان، وقد قسمها أولئك العلماء إلى:التشبيه والاستعارة و الكناية والمجاز .كما اهتم الدارسون والنقاد في هذا العصر بالصور البيانية، فوضعوها في مقدمة أنواع الصور، وتشمل عندهم التشبيه والاستعارة والكناية وأنواعاً أخرى من المجاز، وأطلقوا على كل نوع منها مصطلح "صورة"[٣٢].

أولاً: الصورة التشبيهية:يعد التشبيه صورة فنية في العمل الأدبي، وذلك لدوره الكبير في الربط بين الأشياء لتقريبها إلى الفهم، ولتوضيحها من إضفاء مسحة من الجمال عليهاولقد غالى النقاد العرب في الإعجاب بها، فقد رأوا فيه جانباً من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة ، ولذلك جعلوه أبين دليل على الشاعرية ومقياساً تعرف به البلاغة و وصى النقاد بأن يطلب فيه الشاعر الحذق لكي يمتلك زمام التدريب في فنون السحر البياني، ثم كان التشبيه عندهم سبباً من أسباب اختيار الشعر وحفظه، متميزاً من جودة اللفظ والمعنى على تعبير ابن قتيبة[٣٣].والتشبيه هو فن من فنون النظم، غرضه في التصور القديم – التفهم والتقرير وإخراج المعنى من صورته العقلية إلى صورة مشابهة أو محسوسة، فخصوصية المبدع تتجلى في قدرته على استثمار مبدا المشابهة إلى أبعد الحدود بواسطة التكثيف والربط القصدي بين المتشابهات، وأداة التشبيه ووجه الشبه الظاهران يعتبران كمظهر من مظاهر الصفاقة الفنية[٣٤].ومن أمثلة هذه الصورة قوله[٣٥]:

يَدْعُونَ عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم.

هذا البيت تضمن صورة تشبيهية تمثلت في قوله: "كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم" فالمشبه هنا هي الرماح المستعملة في المعركة، والمشبه به هي الحبال المعدة لجلب الماء من قعر البئر، وأداة التشبيه كأن ووجه الشبه يتمثل في التعلق والتدلي، وهذا تشبيه مرسل، لذكر الأداة فيه ، وقد شبه الرماح المتطايرة ساعة المعركة والمنهالة عليه، وقد علقت بصدر جواده بالحبال المتدلية في البئر لجلب الماء الذي يرمز للحياة، وكذلك الفارس وجواده هنا يجلبان الحياة الكريمة للقبيلة ، بسبب ما يتمتعان به من قوة وصبر ساعة المعركة وجندلة الفرسانوقوله أيضاً [٣٦]:

وداسوا أَرْضَنَا بمضرَّاتِ فكأن صهيلها قِيلاً وقالاً

في هذا البيت يكني عن الخيل المستعملة بالمضمرات، وهي خيل ضامرة بطونها قليلة اللحم هزيلة مناسبة لمقام القتال معدة مخصصة له ، وأن أصواتها وحمحمتها ساعة النزال شبيهة بالحديث، وهذا تشبيه مفصل لذكر وجه الشبه فيه.وفي موضع ثالث يقول[٣٧]:

وكأَنَّ هَادِيَهُ إذا اسْتَقْبَلْتَهُ جذع أُذِلَّ وكان غير مذلَّلِ

هنا يشبه الشاعر مقدمة جواده ، وهي رقبته بالجذع المحتث من الأرض المذلل الذي أصبح صالحاً للاستعمال بعدما كان عكس ذلك، كما أن رقبته منتصبة انتصاب الجذع رمزا للقوة ونحو ذلك، وهذا النوع من التشبيه وهو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه تشبيها مجملا ومن الصور التشبيهية التي استعمل فيها الشاعر أداة التشبيه الكاف، قوله[٣٨]:ويقول في موضع آخر[٣٩] :

وطاعنتْ عنه الخيل حتى تبدت هزاماً كأسراب القطا إِلَى الوِرْدِ

فيصور الشاعر مثلا بأسه وشدة محاربته وجندلته للفرسان اللذين فرقهم وشتت جمعهم، مهزومين يتراكضون هروباً من سطوته ، هروب وتراكض طائر القطا إلى مكان الماء ليذهب الضماً، وبذلك تتمكن من العيش والبقاء حية، كذلك حال الهاربين من ضربات سيفه الباحثين عن الملاذ والمهرب طلباً للنجاة ، وذكره الخيل يعني الفرسان الذين يعلونها.ونلتقي في موضع آخر مع الشاعر نفسه والأداة نفسها في قوله:[٤٠]

من كل أدهم كالرِّياح إذا جرى أو أشهب عالي المطا أو أشقر

فهو هنا يشبه قوة وسرعة الخيل التي يركبها بقوة وسرعة الرياح ، وشبهها بالرياح لأنها سبب في جلب الخير، فهي لواقح وتسوق السحب المثقلة بالأمطار إلى المناطق الجدبة ، فهو أيضاً وجواده يجلبان الفخار والانتصار للقبيلة، فهي إذا أمن ورخاء وقت السلم وشر ووبال وقت الحرب.

ونختم تمثيلنا لهذا اللون من التشبيه بقوله في هذا البيت[٤١]:

ومعيني على النوائب ليث هوَ ذُخْرِي و فارج الهمومي.

فهو هنا يخبر على أن جواده يشبه اليث، وهو الذي يعينه على صروف الدهر، وأنه لا يجد غيره، كما أنه ذخر له يدخره و فارج لهمومه وكروبه حينما تضيق عليه الحال، وهذا أيضاً تشبيه بليغ لأنه شبه جواده الذي يعينه بالليث الذي يرمز للقوة والشجاعة، وقد حذف منه الأداة ووجه الشبه.

ثانياً : الصورة الاستعارية أشبع البلاغيون الاستعارة دراسة وتعريفاً، وقد ارتضيت من تعريفاتهم تعريف أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة، فقد عرفها بقوله: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[٤٢].فكل مجاز بينى على التشبيه (يسمى استعارة) ولا بد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل ولا بد أيضاً من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي ، بأن يكون اسم جنس أو علم جنس، ولا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية ، لأن نفس تصور الجزئي يمنع من تصور الشركة فيه، إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفا، به يصح اعتباره كلياً، فتجوز استعارته ، كتضمين حاتم للجود، وقس للخطابة فيقال: رأيت حاتماً وقساً بدعوى كلية حاتم وقس، ودخول المشبه في جنس الجواد والخطيب[٤٣].

١ – التشخيص:هو ظاهرة بلاغية مهمتها إنزال الأفكار والمعاني في منزلة الأشخاص كما تنسب إلى المواصفات البشرية، تتحول من خلال اللامرئيات إلى مرئيات ينفث فيها المبدع روح الحركة فتؤدي وظيفتها داخل النسق النصي إذ تزيل الاستعارة الحواجز بين الإنسان وسواه، فإذا كل شيء ينطق ويعي ذاته ويتحرك ، ويتجلى جوهر التشخيص في إضفاء السمات البشرية وإسباغ العواطف الإنسانية على الموجودات في هذه الحياة، وبقدر تفنن الشاعر في بث الحياة الإنسانية وإلحاق الأعضاء والأفكار والأفعال والصفات بالجمادات أو الكائنات الحية غير العاقلة وبذلك يتحقق للغة زخم هائل من طاقات الجمالية عن طريق ترسيخ الصورة [٤٤] وقد استثمر الشعراء في التشخيص مظاهر الطبيعة الصامتة أو المتحركة ، بحيث تصبح الطبيعة شخوصا عاقلة تتفاعل وتتجاوب وتستشعر وجود الإنسان ، فيوظفه فيه بطرق مختلفة تتناسب مع السياق الشعري ،بحيث تبدو الحياة فيها طبيعية وحقيقية وغير متكلفة [٤٥]وهذا ما نجده في شعر عنترة بن شداد ساعة تصويره للخيل التي يستعملها في الحرب والسلم معاً.ومن أمثلة الصور الاستعارية بهدف التمثيل لا الحصر قوله [٤٦]:فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحُمِفهو هنا حذف المشبه به وهو (الإنسان) وأبقى لازماً من لوازمه وهي (الشكوى) فأخذ يشتكي ويتألم بدمعه وتحمحمه ، ويكاد ينطق مضفياً عليه صورة الإنسان، وهنا مزج عنترة بين ذاته وذات حصانه في المعاناة من أهوال المعركة، صفة الشريك في البطولة وتحقيق النصر، وخلع صورة الإنسان الذي يغشى الوغى، ويرى في المعركة عذاباً وألماً، وهذا مشهد يستحق الإعجاب بحق، وهذه الصورة من باب الاستعارة المكنية. ونلتقي معه في مثال آخر في قوله في هذا البيت[٤٧]:

يجيبُ إشارات الضميرِ حَساسةً ويُغْنِيكَ عَنْ سَوْطٍ لَهُ وَلِجَامُ.

هنا يصرح بالمشبه (الجواد) بالضمير العائد عليه في "يجيب"، وحذف المشبه به وهو (الإنسان) ، وأبقى لازماً من لوازمه وهي (الاستجابة) ، فهو هنا وكأني به يخرج هذا الجواد الحيوان من عالمه ويدرجه ضمن عالم العاقلين ، وأي العاقلين اللبيبون اللذين يفهمون المجرد الإشارة، ويريد

بذلك أن فرسه لا يجهد فارسه ولا يتعبه، بل لا يحتاج إلى عنف وتلك سجية اشتهرت بها الخيول العربية، دون غيرها من الخيول الأخرى، وهي استعارة مكنية أيضاً.

٢ – التجريد:والتجريد يتم بإضفاء صفات معنوية على المحسوسات، حيث تنهار الفوارق فيها بين ما هو حسي وما هو مادي، والتجريد من خلاله يتقارب الحسي مع المجرد، فيصبح كلاهما قابلاً للتشكيل في محاكاة شعرية. وترتبط الصورة التجريدية بالمعاني الذهنية، ويتم ذلك إما بعقد مماثلة أو مقابلة، تبين معنيين عقيليين لا حسيين[٤٨].وقد وظف الشاعر "عنترة" العديد من الصور التجريدية في ديوانه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر في تصوير الخيل دائماً قوله في هذا البيت[٤٩]:

وقُلْتُ المُهْرِي والقنَا يَقْرَعُ القَنَا تنبه وكُنْ مستيقظا غَيْرَ نَاعِسِ

فَجَاوَبَنِي مُهْرِي الكَرِيمُ وَقَالَ لِي أَنَا مِنْ جِيَادِ الخَيْلِ كُنْ أَنتَ فَارِسِ

فالتجريد هنا هو الجمع بين المعنيين العقليين ، حيث جمع بين حديثه لمهره وتحذيره له، وبين إجابة الجواد له واختياره كفارس له دون غيره من الفرسان فنلاحظ أن كل هذه الأشياء التي ذكرت معنوية ، زاوج بينها الشاعر حيث أضفى صفات معنوية على المحسوسات المجردة في محيطه ووسطه.وفي الأخير نخلص إلى أن شاعرنا وظف العديد من الصور التجريدية في ديوانه، غير أنها قليلة مقارنة بالصور التي تقوم على التشخيص، وأن أغلب الصور تتجه نحو البساطة والوضوح وعدم التعقيد.

المبحث الثالث : القيم التأويلية لصورة الخيل

القيم التأويلية للخيل :

١– القوة والبطولةإن أمر الفارس في أية معركة من المعارك ينتهي لا محالة إلى ظفر أو هزيمة ، ونلمس هذا من خلال الصور التي يضمن بها شعره، ومن أمثلة ذلك[٥٠]

وأنا الأسود والعبد الذي يقصد الخيل إذا النقع ارتفع

فهو يقول هنا بأنه قوي وبطل يتوجه صوب الخيل ويقصدها عندما يتطلب الأمر ذلك، حين يرتفع غبار الأرض من شدة وقع حوافز الجياد ساعة الحرب، وهي صفة تخلو من كثير من الأحرار الحسان الخلقة ، المعترف بهم من حيث النسب، إلا أنها تتوفر فيه رغم سواد لونه وحودد مكانته الاجتماعية ويردف قائلا[٥١]:

والخيل تشهد لي أني أكفكفها والطعن مثل شرار النار يلتهب

تعدو بهم أعوجيات مضمرة مثل السراحين في أعنقها القبب

مازلت ألقى صدور الخيل مندفقا بالطعن حتى بيضا السرج واللبب

والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والضرب والطعن والأقلام والكتب

قوة عنترة وبطولته لا يعرفها الفرسان فحسب، بل تعدى ذلك إلى الخيل المستعملة من طرفه أو من طرف أعدائه، فهي تشهد له بذلك يوم المعركة ، عندما يشتد الكر والفر ويتصاعد الغبار، وتتطاير شرارات النار من تلاقي السيوف وصدامتها فيما بينها، أو قوته ذائعة الصيت يعرفها القاصي والداني ، الساكن والمتحرك من الاشياء. ويقول في موضع آخر:

ينادونني وخيل الموت تجري محلك لا يعادله محل

أثير عجاجها والخيل تجري ثقالا بالفوارس لا تمل

وارجع وهي قد ولت خفافا محيرة من الشكوى تكل[٥٢]

ترى الشاعر يقول أن قومه ينادونه ويستنجدون هبه لقوته وبطولته ، وأنهم لا يستطعون الاستغناء عنه ، وأن تواجده في المعركة لا يعادله تواجد ، وبهذا يقرون بضعفهم وقوته أما الفرسان، وبفرسه يثير عجاج الأرض وغبارها في كره وفره دون كلل ولا ملل، وأن الصورة التي تأتي عليها خيل الأعداء لحظة مجيئها ، غير الصورة التي تغدو عليها فهي تأتي مثقلة بما تحمله من فوارس وعتاد ومؤن، وتغدو خفيفة عارية المتن حيرى شاكية باكية ملة مما أصابها من تحت ضربات سيفه الموجعة.

٢– الكرم:ومن القيم التأويلية لصورة الخيل الدالة على الكرم قوله[٥٣]:

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

ويكون مركبك القعود ورحله وابن النعامة يوم ذاك مركبي

مهر عنترة كريم يرضى ويقبل بكل ما يقدمه له ساعة الإطعام بلا تذمر ، وأنه مركبه في كل حين ساحة الحرب أو السلم وكذا وقت الترحال والحل ، فهو كريم ومطواع له، وصورته هذه انعكست على شخص عنترة الإنسان، وقد اكتفى الشاعر بالتلميح الصورة الكرم في جواده فيقول:ويحمل عدتي فرس كريم أقدمه إذا كثر الدواعي وفي هذا البيت يخص فرسه بالكرم والطوعية ، ويعترف بجميله وأنه رهن إشارته متى شاء،وفي الوقت الذي يشاء فهو إضافة إلى حمله يحمل زاده وعتاده ويتقدم به وقت المعامع ولا يتحجم من ذلك ، وسواء كان المقام حربا أو كان سلما؟ وعليه فهو بحق جواد جواد وكريم كرم صاحبه الذي يعتلى منه في النائبات[٥٤] ويذكر صورة من صور كرمه في موضع آخر فيقول:

جزى الله الجواد اليوم عني بما يجزيبه الخيل العتاقا

شققت بصدره موج المنايا وخضت النقع لا أخشى اللحافا

وفي موضع آخر نجده يقول فيه مبرزا كرم جوداه:

تمسي وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

في هذا البيت يبدي الشاعر صبر فرسه الأدهم الذي يقضي الليل كله على ظهره متخذا منه فراشا، ملجما كأني به على أهبة الاستعداد للإغارة وفي أي وقت، وقت الليل الذي ترتاح فيه المخلوقات إنسها وحيوانها، أما عنترة وأدهمة فلا ، فهما على استعداد دائم، رغم قضاء غيره مثل هذا الوقت على فرش ناعمة وفيرة محشية بما تحشى به الأفرشة من صوف وغيره يظل عنترة يعدد كرم جواده في شعره إلى أن يقول فيه[٥٥]:

يفتديني بنفسه وأفديه بنفسي يقو القتال ومالي

من أعظم كرمه عليه أن يفديه بنفسه عندما يمله على ظهره ويهرب به سريعا، يعجز الفرسان عن اللحاق به والنيل منه، كما يفديه بنفسه حينما يتلقى الضربات المميتة المكلمة الآتية من سيفأو رمح أو سهم طائش بدلا عنه، وكذا عنترة يحميه هو الآخر ويذود عنه بسيفه ورمحه وقت الحرب، ويغذق عليه المال ويركمه وقت السلم ، وفكلاهما يتبادل الكرم ويعامل صاحبه بالمثل ، عاملين بالحكمة القائلة "كما تدين تدان"وفي موضع آخر وفي نفس الشأن يقول فيه:[٥٦]

يجيب إشارات الضمير حساسة ويغنيك عن سوط له ولجام

هنا يصور قوة إدراكه وفهمه للإشارة، وكأني به إنسان لبيب هو في غنى عن الأشياء التي تقوم سلوك الحيوان، كالسوط والاجام، اللذان لا يحتاج إليهما فرس عنترة ،وهذه الصورة تعكس مدى طواعية الجواد لصاحبه وفهمه لما يريد بمجرد إشارة منه، مما يعني أن فرسه يدرك مراد راكبه فلا يحتاج إلى عنف وتلك سجية اشتهرت بها الخيول العربية الأصيلة.

٣-أصالة الحصان العربي:كانوا يطلقون عليها أسماء تأكيدا لاصالتها وعتقها، ويفخر العربي بأن خيله من الخيول الشهيرة بالنسب والأصل والنجاحة[٥٧] قال النابغة الذبياني[٥٨]:

فيهم بنات العسجدي ولاحق ورقا مراكها من المضمار

ويقول زهير في مدح هرم بن سنان[٥٩]:

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

تبذ أفلاءها في كل منزلة تنتج أعينها العقيان والرخم

تهوى على ربيدات غير فائرة تحذى وتعقد في أرساغها الخدم

يقول الأسود الغندجاني[٦٠]" ولم يكن اهتمامهم بأنسابها لصيانة صفاتها المتوارثة بأقل من عنايتهم بها حتى كان حفظ أنسابها من الأمور التي قل أن يجهلها فيهم أحد، لا يقتصرون في ذلك على معرفة الآباء خاصة ، كما هو شأنهم في أنسابهم بل اهتمامهم بأمهات الخيل لا يقل عنه في الآباء لما لهن من دور في نقل صفاتهن المحمودة كذلك إلى الأبناء وأخبار ذلك مستفيضة في اسفار التراث العربي، ومن ذلك ما أورده الجاحظ فقال: قاد عياش بن الزربقان بن بدر إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا، فلما جلس ينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر.. فقال عبد المالك بن مروان : عجبي من اختلاف أيمانه أشد من ، عجبي من معرفته بأنساب الخيل وليس مثل هذا المبلغ قاصرا على فرس ذي أخبار يتناقلها الناس، فقد أورد ابن الأعرابي خبرا . يقول:"وكانت بلعاء فرس الأسود بن رفاعة ، باع سخلة منها بعشرة آلاف من خليفة بن واثلة"إدراكا منهم بأنها لابد وارثة صفات أمها. وليس هذا بالحد الأعلى الأثمان، فالخيل الفائقة لا حدود لأثمانها ،فقد نقل الدميري عن سنن البيهقي في كتاب البيوع قوله:"إن عبد الرحمن بن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما فرسا بأربعين ألفا".[٦١]ولم يكن هذا الاهتمام بالخيل من العرب للزينة أو التفاخر، فقد كانت وسيلتهم إلى العزة

والنصر[٦٢]، فالعربي كما أسلفت أبي بطبعه ، محارب مقدام بحكم ظروف حياته، وامتلاكه فرسا أصيلة سابقة يعني الفوز والغالبة في قراعه غازيا أو مدافعا .. يؤكد ذلك ما جاءت به قرائح الفرسان مما يترجم عن الصلة بينهم وبين أفراسهم، تلك الصلة التي يمتزج فيها شعور والمحبة والإعجاب بشعور المصير الواحد ، فغلبة أحدهما نجاة الآخر وخذلان أحدهما إنما هي النهاية المحتومة لرفيق حياته.وقد عبر شداد بن معاوية أبو عنترة عن هذا الموقف بقوله[٦٣] :

جزى الله الأغر جزاء صدق إذا ما أوقدت نار الحرب

يقيني بالجبين ومنكبيه وأحميه بمطرد الكعوب

كانت القصيدة الجاهلية نتاجا طبيعيا لأسلوب بطولي في الحياة، ولقد وجدت هذه القصيدة لتتغنى بقيم مجتمع صحراوي قبلي في طباعه وقيمه، لتمكن العرب خلال وظيفتها الشعائرية من مواجهة أمور الحياة والموت وكان امرؤ القيس ممن وصفوا الخيل في الجاهلية ، وإن لم يكن أو لهم ولا أفضلهم فقد سبقه أستاذه أبو دؤاد الأيادي، وكان من أشهر من وصف الخيل أيضا طفيل الغنوي الذي يلقب بطفيل الخيل لجودة وصفه إياها.

الخاتمة

احتلت الخيل مكانة مرموقة في حياة العرب الجاهليين، وتجسدت هذه المكانة في الشعر الجاهلي بأبهى صورها. فقد كانت رمزًا للحرية، والقوة، والشرف، ومصدر فخر يعكس ثقافة العرب وأسلوب حياتهم. استطاع الشعراء الجاهليون أن يقدموا صورًا فنية مبدعة للخيل، تُبرز جمالها وسرعتها وشجاعتها، كما منحوا الخيل أبعادًا تأويلية جعلتها أكثر من مجرد كائن مادي، بل رمزًا للأخلاق والقيم النبيلة. بهذا، يظل حضور الخيل في الشعر الجاهلي شاهدًا على عبقرية هؤلاء الشعراء وعمق ارتباطهم بثقافتهم وهويتهم. وتلخيص اهم نتائج

١. أهمية الخيل عند العرب في الجاهلية:

- وسيلة أساسية في الحياة اليومية: كانت الخيل وسيلة للتنقل والسفر عبر الصحارى الواسعة.
- عنصر رئيسي في الحروب: لعبت الخيل دورًا بارزًا في المعارك، حيث كانت تمثل عامل التفوق في الاشتباكات.
- رمز للجاه والهيبة: اقتناء الخيل كان يُعدّ من مظاهر الفخر والاعتزاز، وكلما كانت الخيل أصيلة وسريعة، زادت قيمة صاحبها في مجتمعه.
- حضور في الثقافة العربية: ارتبطت الخيل بعادات مثل السباقات والاحتفالات، وكان الاهتمام بها جزءًا من ثقافة العرب.

٢. القيمة التأويلية للخيل في الشعر الجاهلي:

- رمز للحرية والقوة: مثلت الخيل روح العرب الحرة التي لا تقبل القيود.
- دلالة على الوفاء والشجاعة: ارتبطت صفات الخيل في الشعر الجاهلي بصفات الفرسان الشجعان المخلصين.
- مفهوم الصداقة بين الإنسان والخيل: نجد إشارات إلى العلاقة الوجدانية التي تربط الشاعر بفرسه، كأنها صديق أو رفيق درب.

٣. الصورة الفنية للخيل في الشعر الجاهلي:

- الوصف الدقيق: اهتم الشعراء بوصف أدق تفاصيل الخيل، من ملامحها الجسدية إلى حركاتها وسلوكها.
- تشبيهات واستعارات مبدعة: وظّف الشعراء التشبيهات والاستعارات لتجميل صورة الخيل.
- عنصر الإثارة والدراما: غالبًا ما تظهر الخيل في سياقات مثيرة، مثل السباقات أو المعارك، لتعبر عن القوة والتحدي.

المصادر

الكتب التراثية والأدبية:

- كتاب "أسماء خيل العرب وفرسانها" لابن الأعرابي.
- كتاب "الحيوان" للجاحظ.
- المعلقات، مثل معلقة امرئ القيس وعنترة بن شداد التي تضمنت وصفًا دقيقًا للخيل.
- كتاب "جواهر البلاغة" لأحمد الهاشمي (فيما يتعلق بالصورة الفنية للخيل).
- القرآن الكريم والحديث النبوي:
- ذكر الخيل في القرآن الكريم في عدة مواضع
- أحاديث نبوية شريفة تتعلق بالخيل
- بعض الكتب :

- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، ١٩٩٠ ، الطبعة الأولى
- القرآن الكريم ، تفسير القرطبي ، دار الفكر ، ٢٠٠٥ ، الطبعة الثانية
- تارج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، دار الفكر ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى
- فرحاب التراث العربي ، يحي وهيب الجبوري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن، عمان ، ٢٠١٠ ، الطبعة الأولى
- نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، ابن الكلبي ، هشام بن محمد السائب ، رواية أبي منصور الجواليقي ، تحقيق نوري حمودي القيسي وآخرين ، ١٩٨٧ ، الطبعة الأولى
- معجم الخيل العربي الأصيلة ، الدغيشي حمود ، دار جرير للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، الطبعة الأولى
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، بن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، السعادة ، مصر ، ١٩٦٣ ، الطبعة الثالثة
- محاضرات الأدباء وحوارات الشعراء والبلغاء ، لأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، شركة دار الأرقم ، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة الأولى
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي
- ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق حمدو طماس ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٦٤
- ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق الدكتور محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، ١٩٦٤

هوامش البحث

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، ١٩٩٠ ، الطبعة الأولى ، ج ٦ – الصفحة ١٥٩

(٢) القرآن الكريم ، تفسير القرطبي ، دار الفكر ، ٢٠٠٥ ، الطبعة الثانية ، تفسير سورة ص – الآية ٣٢

(1) تارج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، دار الفكر ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، المجلد اللام – ص٤٤٣

(2) فرحاب التراث العربي ، يحي وهيب الجبوري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن، عمان ، ٢٠١٠ ، الطبعة الأولى ، ص٧

(٥) نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، ابن الكلبي ، هشام بن محمد السائب ، رواية أبي منصور الجواليقي ، تحقيق نوري حمودي القيسي وآخرين ، ١٩٨٧ ، الطبعة الأولى ، ص ٢٩–٣٠

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، بن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، السعادة ، مصر ، ١٩٦٣ ، الطبعة الثالثة ، ج١ ص٦٥

(٧) محاضرات الأدباء وحوارات الشعراء والبلغاء ، لأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، شركة دار الأرقم ، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة الأولى ، ج١ ص٦٦٩

(٨) الدكتور جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" إلى هذا الاقتباس في الجزء الثامن عشر، الصفحة ٣٦٢.

(٩) كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني: يتضمن أخبار ربيعة بن مقروم وأشعاره الجزء الخامس، الصفحة ٢٦٠.

(١٠) هذه الأبيات وردت في كتاب "صحيح الترمذي"، حيث ذكر الترمذي في الحديث رقم ١٦٩٦ قول ابن عباس:"أحبوا الخيل واصطبروا عليها، فإن العز فيها والجمالا..."

(١١) الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط٢–٢٠٠٣– ص ٣٣٢

(١٢) هذا الحديث وارد في صحيح مسلم، في باب تحريم تعليق التمائم والخرز، في حديث رقم ٢١١٠.

(١٣) "أسماء الخيل عند ابن الكلبي – دراسة دلالية" للباحث نصر الدين صالح، المنشورة في مجلة "علوم اللغة" المصرية، المجلد ٥، عام ٢٠٢٢، ص ١٤٤٧.

(١٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ٨١

(١٥) الحوثي أحمد محمد الحياة العربية من الشعر الجاهلي ط ٤ ، دار القلم، بيروت ١٩٦٢ ص ٤٩٤.

(١٦) سورة النحل، الآية ٠٨

(١٧) جزء من كتاب "الفروسية في الإسلام" للمؤلف أحمد أمين، ووردت تحديدًا في سياق الحديث عن حقوق الخيل والبغال والحمير في الإسلام

[١٨] سورة الأنفال ، الآية ٦٠

[١٩] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي : في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر، مصر، ٢٠١١.

[٢٠] سورة آل عمران الآية ١٤.

[٢١] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ٢٣٢.

[٢٢] سوره الحشر ايه ٦

[٢٣] ابن كثير : المرجع السابق، ص ٣٥٦.

[٢٤] سورة ص الآية ٣٠-٣٣

[٢٥] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٦ – مصر – ص ٤٥٥

[٢٦] سورة العاديات ، الآية ١-٣.

[٢٧] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي : في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر ٢٠١١، ج ٣، ص ٣٩٥٧

[٢٨] ابن الأعرابي ، أبو عبد الله بن زياد أسماء خيل العرب وفرسانها. دار البشائر ، دمشق، سورية، ٢٠٠٩م.

[٢٩] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الحيوان. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢ ، ٢٠٠٣

[٣٠] زيد بن محمد بن غانم الجهني ، الصورة، الفنية في المفضليات ، ص ٦٦.

[٣١] زيد بن محمد بن غانم الجهني ، الصورة، الفنية في المفضليات ، ص ٦٦.

[٣٢] زيد بن محمد بن غانم الجهني ، الصورة، الفنية في المفضليات ، ص ٦٧.

[٣٣] مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية، ص ١٠.

[٣٤] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية، دار الفكر العربي، ط ١ ، القاهرة، ص ١٣٠

[٣٥] ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق حمدو طماس ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص٨٣

[٣٦] عنترة الديوان ص٦٠

[٣٧] عنترة ديوان ص٦٩

[٣٨] عنترة الديوان ص٧٠

[٣٩] عنترة الديوان ص٣٢

[٤٠] عنترة الديوان ص٤٣

[٤١] عنتره ديوان ص ٧٥

[٤٢] نقلا عن زيد بن محمد بن غانم الجهني الصورة الفنية في المفضليات ، ص ١١٩.

[٤٣] علي بن نايف الشحود ، الخلاصة في علوم البلاغة ، المكتبة الشاملة ، موقع صيد الفوائد

[٤٤] وجدان الصائغ الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١ ، الأردن، عمان، ٢٠٠٣م،ص٣٧

[٤٥] عنتره ديوان ص٧٨

[٤٦] عنتره الديوان ص ٨٣

[٤٧] عنترة ، الديوان، ص ٧٨.

[٤٨] بشرى موسى صالح ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ص ١١٧

[٤٩] عنترة ، الديوان ، ص ٤٦.

[٥٠] ديوان عنترة ص ٥٠

[٥١] ديوان عنتره ص١٦

[٥٢] ديوان عنترة ص ٦٤

[٥٣] ديوان عنترة ص٥١

[٥٤] ديوان عنترة ص٥٨

[٥٥] ديوان عنترة ص٨١

[٥٦] ديوان عنترة ص٨٢

[٥٧] ديوان عنتره ص٨٢

[٥٨] النابغة الذبياني "ديوانه"دار المعرفة، بيروت،لبنان،تح:أحمد مختار البزرة، ط١،١٩٨٨،ص١٣٨

[٥٩] زهير ابن ابي سلمى "ديوانه" دار المعرفه بيروت ط ٢ ٢٠٠٥ ص ٦٠

[٦٠] الأسود الغندجاني "أسماء الخيل وفرسانها " ص ٢٠

[٦١] الأسود الغندجاني"أسماء خيل العرب وفرسانها"ص٢٠

[٦٢] حمود خلفات الدغيشي"معجم الخيل العربية الأصيلة "دار جرير، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص ٠٩.

[٦٣] الأسود الغندجاني "أسماء خيل العرب وفرسانها"ص١٩.